

دور الطرق الصوفية في تعزيز العلاقات الثقافية الافريقية العربية

The role of Sufism in strengthening African-Arab cultural relations

¹ صالح حامد هغيرا¹ جامعة الجزائر3، abougouli13@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/11/21

تاريخ القبول: 2025/12/09

تاريخ النشر: 2026/04/15

ملخص:

اكتشفت الشعوب الافريقية جنوب الصحراء منذ الوهلة الأولى، سماحة التعاليم الإسلامية، فأخذتها كمنهج لحياتها اليومية في إدارة شؤونها. حاول الاستعمار تحييد الأفارقة عن الإسلام والثقافة العربية، لكنه لم ينجح بفضل مساهمة الصوفية في توسيع القاعدة. لعب علماء الصوفية دوراً في إحياء التراث الإسلامي العربي، معتمدين على الدعوة والتدريس والتأليف في افريقيا، مما نسج خيوطاً متينة في العلاقات الثقافية الافريقية العربية.

تتميز الصوفية بالاعتدال والوسطية، ولكن مع ذلك، هناك بعض فروعها يتبع نهج الغلو والمبالغة في محاباة الشيوخ والتوسل بالأولياء وتقديسهم وبناء الأضرحة لهم، وهي مظاهر تصفها السلفية والوهابية المناهضة للصوفية بأنها بدع وشرك، مما دفع الطرفان إلى صراعات مسلحة. كما تتهم السلفية المتطرفة الصوفية بأنها أداة مطبوعة للأنظمة الحاكمة. تعتمد بعض الدول على الصوفية لمحاربة الإسلام السياسي، فاستراتيجية الغرب، منذ الألفية الأولى، هي انتهاز سياسة الدبلوماسية بالوكالة مستخدمة بعض دول المنطقة الحليفة له للوصول إلى إسلام يتأقلم مع مصالحه العليا.

كلمات مفتاحية: الصوفية، العلاقات الثقافية، الإسلام السياسي، الثقافة العربية.

Abstract:

The peoples of sub-Saharan Africa discovered the tolerance of Islamic teachings and adopted them as a way of life in managing their affairs. Colonialism tried to alienate Africans from Islam and Arab culture, but it did not succeed, thanks to the contribution of Sufism. Sufi scholars played a vital role in reviving the Arab Islamic heritage, relying on preaching, teaching, and writing. This Sufi endeavor forged strong bonds in African-Arab cultural relations.

Sufism is characterized by moderation and balance, but some of its branches follow an approach of extremism and exaggeration in favoring sheikhs, supplicating to saints, sanctifying them. These are manifestations that Salafism and Wahhabism, describe as heresies and polytheism, which has led the two sides to armed conflicts. Extremist Salafism also accuses Sufism of being a pliant tool

of ruling regimes. Some countries rely on Sufism to combat political Islam, as the West's strategy has been to pursue a policy of proxy diplomacy, using some of its allies to achieve an Islam that aligns with its interests.

Keywords: Sufism; cultural relations; political Islam ; Arab culture.

المؤلف المرسل: صالح حامد هغيرا ، abougouli13@gmail.com

مقدمة:

إن الانتشار السريع للإسلام الذي شهدته القارة الأفريقية، منذ القرن السابع، وما قام به المسلمون العرب والأفارقة من إسهامات في الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية في مناطق أفريقيا المختلفة كلها دلائل اتضحت لأغلبية سكان القارة من المسلمين بأن الطرق الصوفية قد ساهمت بشكل كبير في نشر التعاليم الإسلامية واللغة والثقافة العربية بين الشعوب الأفريقية، كما أن اللغة العربية لا تزال لغة التخاطب والمراسلات اليومية في أجزاء كثيرة من أفريقيا قبل وبعد مجيء المستعمر الغربي في القرن السادس عشر.

والجدير بالذكر أن التجار العرب المسلمين ساهموا في تأسيس مدن ومراكز تجارية وثقافية في شرق وغرب أفريقيا كما ساهموا سياسيا في إقامة الممالك الإسلامية المعروفة في السودان الغربي والوسط (غانا مالي ونيجيريا وتشاد).

إن مجيء الإسلام إلى أفريقيا وسرعة انتشاره بين شعوبها قد ساهم في تعزيز الروابط والصلات الأفريقية العربية، منذ الوهلة الأولى من ظهور الإسلام، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه بالسفر واللجوء إلى الحبشة هربا من اضطهاد وبطش أهل مكة الذين رفضوا الإسلام، وهكذا توالى الهجرات العربية من قبل ومن بعد هجرة الأنصار، قد أحدث الإسلام تأثيرا مباشرا في عموم القارة الأفريقية.

إذا كانت العوامل الجغرافية تعتبر واحدة من العوامل المهمة في عملية التأثير والتأثر على العلاقات الدولية، فأن العامل الديني أو المذهبي الطائفي له أيضا مكانته في تعزيز العلاقات بين الدول الأفريقية والعربية، ليست فقط في المجال الروحي والثقافي فحسب، بل يعد عاملا مهما أيضا، يمكن أخذه بعين الاعتبار في رسم السياسات الخارجية والاقتصادية والتجارية في كثير من الدول الأفريقية والعربية.

سوف نتناول في هذه الدراسة الإسلام الصوفي ودوره في نشر الإسلام ورفع مكانة الثقافة واللغة العربية في أفريقيا، من خلال زوايا تحفيظ القرآن الكريم والمدارس العربية الأهلية التي أظهرت أهميتها في المحافظة على العرى والصلات المتينة بين الشعوب الأفريقية والعربية.

- إن الإشكالية التي تطرح نفسها هي: هل الطرق الصوفية نجحت فعليا في غرس الدين والثقافة العربية في نفوس الافارقة المسلمين ونسج خيوطا عريضة بين القارة الأفريقية والعالم العربي؟
- يمكن القول كفرضية أن الطرق الصوفية تمكنت من التقريب بين الأفارقة المسلمين وبين العرب المسلمين من خلال تنوع أنشطتها وتعدد طرقها مع اعتمادها خاصة على الزوايا والخلوي.
- وللإجابة على الاشكالية المطروحة سوف نركز في المقال على العناصر التالية:
- تعريف الطرق الصوفية.
 - مراحل تطورها وأنواعها في أفريقيا.
 - العوامل المساعدة على نشر الصوفية في أفريقيا ودور الزوايا والخلوي (مثال على الزوايا السنوسية في جنوب الصحراء الكبرى).
 - الطرق الصوفية والسياسة.

أولا: تعريف الطرق الصوفية، مراحل تطورها وأنواعها في أفريقيا

1. تعريف الطرق الصوفية:

اصطلاحيا يعرف بعض الباحثين كلمة التصوف بأنها جات من ارتداء الصوف كرمز للتقشف ويرى آخرون بأنها تعني الحكمة.

أما الصوفية فهي حركة روحانية إسلامية نشأت على أساس الزهد والتقوى والابتعاد عن الدنيويات، ظهرت في بدايتها كحركة زهدية في مدينتي البصرة والكوفة بالعراق، في أواخر القرن الأول الهجري، مع شخصيات مثل الحسن البصري ورابعة العدوية، ثم تطورت إلى علم ومنهج متكامل في بغداد في القرن الثالث الهجري، على يد الجنيد البغدادي، الذي تأثر بالفكر اليوناني خلال عصر الترجمة، خاصة في الكوفة، ومن ثم دخلت الصوفية إلى مصر في عهد الدولة الفاطمية¹، ومنها انتشرت في كافة أفريقيا شمالا وشرقا وغربا. تنتشر الطرق الصوفية في أنحاء واسعة من العالم، في آسيا وأفريقيا مع اختلاف في قوة انتشارها من منطقة لأخرى ومن دولة لأخرى، وتتغلغل أكثر في القرى والمجتمعات الريفية.

لقد انقسمت الطرق الصوفية اليوم إلى عدة طرق، وبعضها يعرف بالمشيخات لتشمل أكثر من طريقة. وتنسب كل طريقة إلى شيخ مؤسس لها، وهذا الأخير بدوره يحاول الانتساب إلى سيدنا محمد صلى

الله عليه سلم أو أصحابه، تتميز كل طريقة بالشعائر والاذكار والمدائح والرقصات والموسيقى والألبسة الخاصة بها.

تعرف الصوفية أو الطريقة الصوفية في أفريقيا حسب الباحث موسى عبد السلام أيكن بأنها: " جماعات ومنظمات صوفية تسيير على درب معين من السلوك والآداب بهدف الوصول إلى الله، فالطريقة الصوفية رابطة روحية قوية، تأسست في الدول الإسلامية وفي بعض دول غرب أفريقيا منذ مدة من الزمن، لأنهم يعتقدون أن الأوراد والأذكار التي يلتزمون بها صباحا مساء، لها تأثير كبير في استجابة دعواتهم، أو أن الولي الذي ينتسبون إليه إنما حصل على درجة الولاية من تلك الأوراد والأذكار. ومن العوامل الرئيسة التي انتشر بها الإسلام في بقاع غرب أفريقيا من يوم فجره إلى اليوم التصوف الإسلامي الذي يدعو إلى تزكية النفس بالخلق النبيل"².

لقد كان لدى علماء الصوفية دور كبير في نشر الإسلام والمحافظة على اللغة والثقافة العربية في أفريقيا، عن طريق الخلاوي والزوايا والمدارس الأهلية البسيطة التي أنشئوها بالدعوة والإرشاد بين شعوب جنوب الصحراء عموما وشعوب غرب أفريقيا المسلمين خصوصا، فتأثرت بهم الحركة الصوفية تأثيرا روحيا وثقافيا واجتماعيا منذ تواجدها في المجتمع الافريقي، هم الذين أسسوا المدارس العربية الأهلية في أفريقيا. وفي شأن جهود هؤلاء أصحاب الطرق الصوفية يقول الكاتب موسى عبد السلام أيكن: "لقد كانوا ولا يزالون يقضون معظم اوقاتهم الثمينة في إحياء التراث العربي الإسلامي عن طريق التأليف والدعوة والإرشاد".

2. مراحل تطور الطرق الصوفية:

الصوفية هي حركة مرت بمراحل تطور كثيرة أدت إلى اختلاف مناهجها وطرقها، حتى وصلت في بعض صورها إلى الغلو والانحراف، فيما يلي عرض لمراحل تطور الصوفية، وأهم أئمتها وكيفية تحول بعضها من الزهد إلى الشرك، حسب رأي الكاتبة حنان الطيبي التي تحدد أربع مراحل مرت بالصوفية³:

المرحلة الأولى: ظهرت كحركة زهدية في المجتمع الإسلامي خلال القرن الأول والثاني الهجري، ركز أتباعها على التزكية والتقرب إلى الله بالعبادات والابتعاد عن الدنيويات، أبرز علماء هذه المرحلة الحسن البصري ويعد من أوائل الزهاد الذين تأثروا بالفكر الصوفي وويليه رابعة العدوية، المتأثرة بالحب الإلهي أي التصوف العاطفي.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التصوف الفلسفي أي ان التصوف بدأ يتطور ويأخذ شكلا فلسفيا ودخلت فيه مصطلحات جديدة مثل البقاء والفناء ووحدة الوجود وقيل: أنه تأثر بالفكر الهندي واليوناني، وأبرز علمائه الجنيدى البغدادي والحلاج والسهر وردي وعرف التصوف في هذه المرحلة بين الاتزان والتشدد.

أما المرحلة الثالثة: هي مرحلة تعدد الطرق الصوفية، خلال القرن السادس إلى العاشر الهجري، وأصبح التصوف جماعات منظمة لها أتباعها، وظهرت اختلافات فيما بينها من حيث ممارسة الطقوس والكرامات وتقديس الشيوخ والأولياء، أشهرها القادرية والشاذلية والرفاعية منسوب إليها على التوالي عبد القادر الجيلاني وأبو الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعي.

المرحلة الرابعة: هي مرحلة الغلو والشرك حسب الكاتبة حنان الطيبي، وذلك منذ القرن العاشر الهجري فصاعدا، حيث تم إدخال مظاهر غريبة من بعض الطرق الصوفية مثل التوسل بالأولياء والتقديس بهم وطلب الشفاعة منهم وبناء الأضرحة لهم والتبرك بها.

وهناك قاسم مشترك لجميع الطرق الصوفية وهو الاحتفال بالمولد النبوي الذي بدأ منذ العصر الفاطمي، إلا أن هذه المناسبة لدى بعض الطرق الصوفية في أفريقيا تتبعها مدائح للنبي عليه الصلاة والسلام وأغنية دينية خلال الليل.

3. أنواع الطرق الصوفية في أفريقيا:

دخل الإسلام إلى أفريقيا في القرن السابع الميلادي، عبر الهجرة الأولى للصحابة إلى الحبشة ومن ثم الفتوحات الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع لشمال أفريقيا بعد فتح مصر 641م، وما تلاها من نشر الإسلام عبر التجار العرب بين شعوب جنوب الصحراء حيث ظهرت الطرق الصوفية في أفريقيا، ابتداء من القرن الحادي عشر.

منذ انتشار الدين الإسلامي في القارة، المذهب المالكي السني في أفريقيا، باختلاف طرقه الصوفية، أصبح المذهب الوحيد الأكثر اتباعا اليوم في أوساط الشعوب الافريقية المسلمة، ولكن في العقود الأخيرة ظهر في بعض الدول الافريقية المذهب الشيعي والطوائف السلفية والجهادية التي على نقيض مع الطرق الصوفية في بعض الجوانب التطبيقية للدين.

الطرق الصوفية لعبت ولا تزال تلعب دورا محوريا في التأثير على المجتمعات الأفريقية المسلمة سواء تعلق الأمر بالحياة الروحية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وحتى النواحي السياسية في عموم القارة الأفريقية خاصة في بعض دول غرب أفريقيا مثل السنغال وغامبيا، ودول الساحل، وذلك مقارنة بدول شمال أفريقيا ولاسيما مصر والجزائر والمغرب، أما في شرق أفريقيا فنجدتها منتشرة في السودان وأثيوبيا وكينيا والصومال.

الطرق الصوفية على نقيض دائم مع السلفية وبعض الطوائف الإسلامية الأخرى التي تنتهج نهج التشدد والتطرف والتعصب والعنف في بعض الأحيان، مثل الحركات الجهادية والوهابية، في حين تتهم بقية الطوائف أن أصحاب الصوفية هم أهل الغلو والبدع والزندقة والضلالات والشعوذة، وتعتمد الصوفية على الأنشطة الروحية لرفع القيم الدينية والأخلاقية.

بالرغم من غياب الإحصائيات الدقيقة لنسبة أتباع الطرق الصوفية في العالم اليوم، إلا أن بعض الباحثين يقدر عددهم 300 مليون نسمة من مليار وستمئة مليون مسلم في أرجاء العالم، ونسبتهم تصل إلى 19%⁴.

إن الطرق الصوفية في أفريقيا ليست مجرد مؤسسات دينية لممارسة العبادات الروحية وتدريس التعاليم الإسلامية واللغة العربية، فهي تشكل أيضا نسيجاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً يؤثر في مجمل نواحي الحياة اليومية للسكان. ويعد القاسم المشترك بين هذه الطرق الصوفية، والذي لا خلاف حوله، هو كونها شاركت كلها وبشدة في مقاومة الاستعمار الأوروبي والثقافة الغربية، وساهمت في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية بين الشعوب الأفريقية، كما دافع الإسلام الوسطي،⁵ ضد التيارات الدينية المتطرفة. يمكن القول، أن أغلب الطرق الصوفية في أفريقيا تفرع من الطريقتين الرئيسيتين القادرية والتيجانية، وكلها تمتلك الزوايا والمدارس الخاصة بها. ففيما يتعلق بعدد الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، لا يوجد رقم دقيق يمكن الاستناد إليه، ولكن ترجح بعض المصادر إن أن عددها يقدر بمئات الطرق المنتشرة عالمياً، مع وجود ثمان طرق رئيسية انحدرت منها الفروع الأخرى، وهي:

التيجانية، والقادرية، والشاذلية، والرفاعية، والنقشبندية، والخلوتية، والدسوقية والأحمدية. وتتمثل أوجه التشابه بين هذه الطرق الصوفية في:

1- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وما يتبعه من مدائح وأغنية ورقصات.

2- ارتداء زي خاص بها واتخاذ علم خاص أيضاً.

3- الإكثار من الذكر والزهد مع الاستغاثة بالموسيقى والحركات البدنية.

4- تقديس وتعظيم شيخ الطريقة وقبره.

أما أوجه الاختلاف داخل هذه الطرق فهي شكلية أكثر منها جوهرية وتكمن في الآتي:

1- الأذكار والطقوس تختلف من طريقة إلى أخرى، من حيث عددها وصيغها، وإذا كانت جهرية أو سرية، جماعية أو فردية.

2- يختلف الزي والمظهر في لونه وشكله: أخضر، أسود وغيرها، طويل أو قصير.

3- المنهج التربوي الروحي يختلف ما بين لين ووسطي ومتشدد.

4- التوسل بالأولياء، والتمسح بهم واتخاذهم قدوة لهم، يختلف من طريقة إلى أخرى.

إن أهم الطرق الصوفية التي تنتشر في أفريقيا وحول العالم هي:

القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي عاش حياة الزهد والعزلة في المجتمع العراقي، وتأسست في القرن الحادي عشر وتشتهر بالاعتدال والوسطية. القادرية تعتبر أولى طريقة صوفية في غرب أفريقيا، ظهرت في أفريقيا، خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، لقد كانت القادرية، هي الطريقة الدينية التي تعد الأكثر انتشارا في منطقة توات جنوب الجزائر، ومنها انتقلت إلى أفريقيا الغربية، وكان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في أفريقيا والوقوف في وجه المد الأوروبي، وهي مثل التيجانية تفضل اللون الأخضر.

والشاذلية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتتميز بالتركيز على الزهد والورع، فيشتهر أتباعها بالذكر المفرد لله، واكتساب العلوم عن طريق الذوق والكشف، أو بمعنى آخر تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، ومعرفة الله معرفة يقينية.

كما يردد أتباعها الأناشيد والأشعار المحرّضة على جهاد النفس والعدو. وتتميز الشاذلية باللون الأصفر، لها زوايا عديدة في المغرب العربي، ولها تأثير في جنوب الصحراء، ولاسيما في السودان وفي شرق أفريقيا.

والنقشبندية تنسب إلى الشيخ بهاء الدين النقشبندي، وتتميز بالسلسلة الذهبية للعلماء الصوفية. تشتهر بتكيزها على الذكر الخفي ومراقبة القلب والالتزام الصارم بالسنة النبوية، وتدعي بالسلسلة المنسوبة لأبي بكر الصديق.

يرى منتقدوها أن الطريقة تتضمن بدعا ومخالفات عقائدية مثل الغلو في المشايخ أو القول بوحدة الوجود، أو الادعاءات حول الاطلاع على الغيب، مما يخرجها عن السنة. كما لا تركز هذه الطريقة على لون بعينه ولكنها تميل إلى الأخضر والأبيض. ويجب الإشارة إلى أن النقشبندية ليست لها تواجد كبير في أفريقيا مقارنة بما هو عليه في شرق آسيا.

والرفاعية وتنسب إلى الإمام أحمد بن علي الرفاعي من فقهاء الشافعية. تشتهر بالزهد الشديد والتعبد، والتمسك بالكتاب والسنة، والمجاهدة، والتكثير من الذكر والأوراد. ويشار إلى أن بعض الأتباع انحرفوا عن المنهج الأصلي للرفاعي، حيث ظهرت فيها عادات غريبة، مثل عبادة الأولياء والشيخوخة وتقديسهم، أو ترويض الحيوانات المفترسة أو أكل الحيات والدخول في النيران.

أتباعها قليلون في أفريقيا، ونجدهم في الدول العربية مثل مصر وتونس والعراق وسوريا وغرب آسيا، كما أن الرايات السوداء هي لونهم المفضل.

والبكائية وهي تنسب إلى الشيخ سيدي أحمد البكائي الكنتي في شرق موريتانيا، ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي، وهي ليست طريقة منفصلة تماما، بل هي فرع من فروع القادرية والشاذلية. نشأت أولا في منطقة أزواد بدولة مالي وشرق موريتانيا ثم امتدت لغرب أفريقيا. لقد تأثرت البكائية بالصوفية المغربية والمشرقية، ولكن سرعان ما تكيّفت بالواقع الاجتماعي المحلي الأفريقي، وتتميز بإدماج ألوان متعددة في ملابسها مثل الأبيض والأسود والأخضر والأصفر والوردي والرمادي وغيرها، في رقعات كثيرة لانعكاس روح الطريقة عن غيرها حسب اعتقاد المؤيدين.

والتيجانية وتنسب إلى أبي العباس أحمد محمد التيجاني، جزائري الجنسية من عين ماضي بولاية الأغواط. تأسست في القرن الثامن عشر وتشتهر بالذكر الجماعي والطرق الخاصة بالذكر، ونجدها في المغرب العربي ودول الساحل (تشاد، النيجر، مالي وبوركينا فاسو)، وأيضا في غرب أفريقيا خاصة في السنغال حيث 51% من مسلمي السنغال من الطائفة التيجانية⁶، الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ أحمد التيجاني في بلدة عين ماضي الجزائرية، في القرن الثامن عشر الميلادي، وانتقلت فور ظهورها إلى أراضي غرب أفريقيا،⁷

المريدية، وهي طريقة صوفية سنية سنغالية، تنسب إلى الشيخ الأفريقي أحمدو بامبا، الذي أبعده بالنفي من قبل فرنسا لقوته ونفوذه أثناء الاستعمار، لكنه عاد وأسس طريقته في أوائل القرن العشرين، وهي

تدعو إلى الإيمان وإلى إحياء السنة النبوية، كما أن العمل الصالح والدؤوب في الحقول والمزارع والتجارة تعتبره جزءاً من العبادة، ولذلك فهي تهتم بالتعليم الديني والمهني معاً.

تتميز المريدية بتأثيرها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الكبير في المجتمع السنغالي والغامبي خاصة، وغرب أفريقيا عامة، ومقرها مدينة طوبى، التي أصبحت مركزاً روحياً واجتماعياً واقتصادياً للطريقة، حيث يجتمع فيها الملايين من مؤيديها سنوياً في احتفالات كبيرة، إحياءاً لذكرى نفي مؤسسها، وهي تفرعت من التيجانية الأم، ويميل أتباعها غالباً إلى ارتداء ملابس بيضاء أو ألواناً أخرى.

يرى العديد من علماء أهل السنة والجماعة أن التصوف هو البعد الروحي للتعاليم الإسلامية وأن الصوفيين هم من أهل السنة. ولكن هناك بعض نقاط خلاف بين علماء أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بمعتقدات بعض الطرق الصوفية عن مصادر المعرفة، حيث يعتقد أتباع بعض الطرق الصوفية بأن الحدس والكشف والتنجيم والتأويل الباطني للقرآن تعد من المصادر المكتملة للمعرفة، عكس أهل السنة الذين يعتمدون فقط على الكتاب والسنة كمصادر أساسية للمعرفة.

ويظن بعض الصوفية أن الأولياء والشيخو العلماء يمتلكون قدرات خارقة ويكشفون الباطن وهو اعتقاد بمثابة شرك بالنسبة لأهل السنة والجماعة، ونقطة خلاف أخرى تتمثل في الغلو ومبالغة التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو تصرف مخالف لبعض أهل السنة. نذكر أيضاً من الانحرافات الشائعة التي يتميز بها أغلب أتباع الصوفية الغلو والمبالغة في رفع مكانة الشيخو والأولياء كتقديسهم وتعظيمهم لدرجة العبادة، وبناء الأضرحة والمقامات لهم والتمسح بهم والتوسل بالموتى.

خالد بنتونيس شيخ الطريقة العلوية في جنوب الجزائر، وهو أحد علماء الصوفية يقول واصفاً الصوفية بأنها الإسلام نفسه: "إذا كان للإسلام جسداً فإن روحه هو الصوفية"⁸ وغالباً ما يكون هناك قواسم مشتركة بين هذه الطرق كالجهد التذكري والزهدى، ومظاهر الاحتفالات الدينية كالمولد النبوي وما تتبعه من المدايح والرقصات.

ولكن هذه الخلافات في حد ذاتها ليست جوهرية، فالمؤسسة الدينية الرئيسية للمذهب المالكي السني المتمثلة في الأزهر الشريف هي تدعم **الصوفية الحقة**، التي تدعو إلى الالتزام التام بأوامر الإسلام وشريعته متمثلة في العمل بما ورد في الكتاب والسنة والتقيد بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات⁹، وهو التزام يحترمه تقريباً جميع أتباع الطرق الصوفية. حسب أحد أعلام الصوفية، الشيخ سهل بن عبد الله

التستري فإن الصوفية تقوم على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال.

ثانيا: العوامل المساعدة على نشر الصوفية في إفريقيا ودور الزوايا والخللاوي

1. العوامل التي ساعدت على نشر وثبات الصوفية في افريقيا: ¹⁰

- تضافر جهود بعض القبائل الأفريقية التي حافظت على الفكر الصوفي، مثل قبائل الكنتي والبامبارا والهوسا وغيرها التي ساهمت في إنشاء الزوايا وحلقات الدرس والمجالس العلمية من أجل نشر الفكر الصوفي وتوسيع معارفه.

- نشاط المريدين وبقية الأتباع من الطرق الصوفية المختلفة لتثبيت مبادئ مذهبهم عن طريق توسيع الدائرة المعرفية بين السكان الأفارقة المسلمين.

- قرب منطقة غرب أفريقيا بمنطقة توات جنوب الجزائر، التي كانت مفترق طرق تاريخيا بين المغرب العربي وأفريقيا جنوب الصحراء، حيث ارتكز فيها الفكر الصوفي أول مرة.

- شعور المريدين وأتباع الصوفية عامة بخطر الوثنية والغزو الاستعماري والتنصير المسيحي على أفريقيا عموما وعلى منطقة غرب أفريقيا بالخصوص ¹¹.

- الاعتقاد السائد لدى أتباع الصوفية أن الوظائف المختلفة التي يقومون بها يوميا، كالأوراد والأذكار والصلوات والخلوات هي دعوات مستجابة تقرهم إلى الله.

- الجوانب الروحية التي تعد سمة للصوفية، التي انسجمت مع مفاهيم موجودة في الثقافة التقليدية الإفريقية كالتنجيم والشعوذة، دفعت إلى اقتراب الشخصية الإفريقية منها وتقبلها إياها.

- تأسيس الخللاوي والزوايا لتحفيظ القرآن الكريم والقيام بالدعوة والإرشاد بالاستمرار من قبل الشيوخ والعلماء الصوفيين

- تركيز الطرق الصوفية على محبة الأعمال التعبدية والممارسات الدينية مقارنة بغيرها من الطرق؛ فالتزام قارئ القرآن الكريم بأحكام التجويد واحترام شروط الترتيل والمدائح في المناسبات يجذب المحبين.

- اعتناق الكثيرين من الأفارقة بالفكر الصوفي، الذي يركز في الإكثار من التربية الروحية والتزكية النفسية والوجدانية حيث زرع في نفوسهم الحب والدفاع عن الفكر.

2. دور الزوايا والخللاوي لتعزيز العلاقات الثقافية الافريقية العربية:

مجالس تحفيظ القرآن ودراسة أصول الدين في أفريقيا لها عدة مسميات، تختلف هذه المسميات باختلاف المكان والشعوب، فتعرف بالزاوية أو الخلوة أو الحلقة أو الدائرة أو المدرسة أو التكية أو المبروكة. جاءت هذه المجالس إلى أفريقيا متزامنة مع انتشار الإسلام، وهي لا تزال إلى اليوم، الركيزة الأساسية لنقل التعاليم والقيم الإسلامية واللغة العربية إلى الطفل الأفريقي، الطرق الصوفية تستخدم غالبا مصطلح الزاوية أو الخلوة. لا يقتصر دور المجالس فقط في عملية التلاوة وتحفيظ القرآن وتجويده، بل تمتد إلى معرفة الأحاديث النبوية والدروس الدينية من الفقه واللغة العربية، وتحولت بعض الزوايا أو الخلوي إلى مؤسسات ومراكز ومعاهد حديثة لدراسة العلوم الدينية والدنيوية. ويمكن القول بأن حفاظ هذه الزوايا لهم إسهامات وسمعة كبيرة في مشاركتهم للمسابقات العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التي تنظمها بعض الدول سنويا.

نذكر هنا مثالا عن الزوايا السنوسية التيجانية التي لعبت دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في أوساط الشعوب الأفريقية القاطنة جنوب الصحراء، التي وضعت قواعد متينة لاستمرارية العلاقات الثقافية والاجتماعية بين الشعوب الأفريقية والعربية.

الزوايا السنوسية في الصحراء:

إن ظهور الدعوة السنوسية وإنشاء الزوايا على امتداد الصحراء حتى بحيرة تشاد كان له أثره في نشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل الأفريقية الوثنية، ولاسيما بين مناطق الجنوب الليبي والقبائل المجاورة في جنوب الصحراء، وخلق هذه الزوايا نوعا من علاقات الوثام والمحبة فيما بين هذه القبائل الصحراوية، كما بقيت الزوايا السنوسية ملاجئ وأماكن استراحة هامة للمسافرين والرحالة المستكشفين والتجار وعابري السبيل في قلب الصحراء.

يتمتع شيوخ السنوسية بنفوذ كبير في الأقاليم التي وجدت فيها زواياهم، اختار مؤسس السنوسية السيد بن علي السنوسي إقليم برقة مركزا لدعوتهم، فإن مناطق الجبل الأخضر كانت تتصل بالعالم الخارجي عبر مينائي درنة وبنغازي، وتمر القوافل التجارية الذاهبة من عمق الصحراء المصرية إلى إقليم طرابلس وفزان وبنو ووداي.¹² لقد أنشأ السنوسي الأب زاوية في منطقة البيضاء سميت أم الزوايا في عام 1842 الميلادي حتى بلغ عدد الزوايا خلال حياته 37 زاوية، ومن ثم تضاعف عددها في عهد الخلفاء من أبنائه. وعندما رأت العائلة السنوسية أهمية هذه الزوايا في الدعوة الإسلامية ولقربها من الساحل البحري وكذلك من سلطان الحكومة العثمانية المتمركزة في بنغازي آنذاك فضلت نقل زاوية البيضاء إلى الجغبوب، جنوب

ليبيا البعيدة عن البحر، كما أن الجغبوب كانت يكثر فيها مرور القوافل التجارية المتجهة الى الصحراء الكبرى، ووجود القبائل العربية التي تتبع الطريقة السنوسية، وبالتالي أصبحت الجغبوب مركزا يربط الطرق الصحراوية بأفريقيا الغربية والشمالية وبوسطها حتى بحيرة تشاد، وفي البداية كان هناك طريقان مشهوران أحدهما شرقي يتجه نحو مرزق، أقصى الجنوب الليبي ومنها إلى تشاد والنيجر، والآخر غربي يتجه من غدامس نحو الصحراء الجزائرية ومنها إلى الحدود النيجرية والمالية. وقبل ظهور هذه الزوايا السنوسية كانت الجغبوب وكرا للصوص وقطاع الطرق حتى أصبحت مكانا للأمن والاطمئنان للقوافل التجارية، بالإضافة إلى كونها مركزا للدعوة والإرشاد بين الأهالي والقبائل القاطنة والمجاورة. كما أن الزاوية كانت تلعب أدوارا أخرى غير نشاطها الديني، فكانت تمثل مركزا اجتماعيا ومؤسسة تربوية، حيث الطريقة السنوسية كانت تمتنع على أتباعها التسول أو الانقطاع للعبادة، بل كانت تطلب منهم العمل في الزراعة والتعمير والإنشاء والاعتماد على النفس.

أصبح نفوذ شيوخ السنوسية واحترامهم في الأقاليم التي وجدت فيها زواياهم بارزا، بحيث كان التجار والرحالة لا يغادرون الجغبوب حتى تأخذ الرسائل ووثائق المرور من شيوخ الزاوية لتؤمن لهم طوال الرحلة، أو بعبارة أخرى هذه الوثائق تصبح بمثابة جوازات أو سكوك مرور تمكنهم من اجتياز أراضي سكان الصحراء من الطوارق والتوبو القاطنة على طول الطرق والواحات الصحراوية، التي كانت المسؤولة والمسببة باختلال الأمن في هذه الطرق، ولكن بمجرد إظهار الرسائل من شيوخ الزوايا يؤمنون لهم الطريق، الأمر الذي أدى إلى زيادة نشاط القوافل التجارية بفضل هؤلاء الشيوخ، أي أنهم لم يكن دورهم يقتصر على مجرد الدعوة والإرشاد وتأسيس الزوايا بل كان لهم دور فرض السلام والاستقرار والأمن على سكان الصحراء سواء كانوا عربا أو أفارقة.

وللإشارة أنه بفضل تأسيس هذه الزوايا المنظمة كان انتشار الإسلام الصوفي والثقافة العربية والقضاء على الوثنية في غرب ووسط القارة الأفريقية، بالأخص في بلاد النيجر وتشاد وساهمت في إقامة الممالك الإسلامية القديمة في تشاد، مثل مملكة وداي وبرنو وكانم، وكثير من العائلات السنوسية هاجرت إلى هذه المناطق واستوطنت فيها، فنجد اليوم في تشاد (كانم) أسرا سنوسية كبيرة أصبحت تشادية لها حقوقها وواجباتها وسلطاتها التقليدية مثلها مثل بقية القبائل التشادية، ولم ترجع إلى موطنها الأصلي (ليبيا)، كما نجد قبائل عربية ليبية أخرى بين تشاد والنيجر كالمجبرة وأولاد سليمان والقذافة وغيرها. وبدأ بعضهم يساهمون في الحياة الاقتصادية والسياسية في هذه البلدان الافريقية، وخير الدليل لذلك محمد بازوم،

الرئيس المنتخب السابق للنيجر، والذي تم تنحيته من قبل المؤسسة العسكرية بانقلاب عام 2021، وهو من أصول عشيرة عربية ليبية تسمى أولاد سليمان.

كما سبق ذكره بأن هذه الزوايا السنوسية أصبحت تهتم بمواضيع أخرى غير الأغراض الدينية، فكانت لها مدارس للتعليم واستراحات للقوافل ومراكز تجارية واجتماعية وحصون ومحاكم ومخازن وبيوت للفقراء. واستمرت هذه الزوايا السنوسية حتى منتصف القرن التاسع عشر ولكنها اصطدمت بالقوى الاستعمارية نظرا لنفوذها الذي كانت تتمتع به بين سكان المناطق الصحراوية وتأثيرها عليها من خلال الدين والخدمات التي تقدمها، ولذلك بعض الدول الاستعمارية مثل فرنسا وإنجلترا اتخذت إجراءات وأساليب للحد من نشاط هذه الزوايا كالإرساليات المسيحية وفرض تدريس لغتها على السكان المحليين، وخاصة عندما أظهر شيوخ هذه الزوايا معارضتهم للاستعمار الأجنبي والغزو على الجزائر وغرب أفريقيا.

عندما مات السيد بن علي السنوسي الأكبر خلفه ابنه محمد المهدي، وهذا الأخير قرر تحويل مركز الزوايا من الجغبوب إلى الواحة الكفرة، أقصى جنوب ليبيا، من أجل الدعوة والتأثير الأكثر على عمق بلاد أفريقيا جنوب الصحراء إلى جانب القبائل الصحراوية. ونجح السنوسيون نشر دعوتهم في المناطق الشمالية والغربية والشرقية والوسط من تشاد مثل بوركو وتبستي وماو وكنام ووداي وباغيرمي حتى بلغت السنوسية إلى النيجر ومالي، وبفضلهم تم إقامة مراكز دينية في بحيرة تشاد ووسط أفريقيا والسودان الغربي الوسطي¹³.

إن النفوذ الديني والسياسي والثقافي للعائلة السنوسية قد طال مناطق عديدة من الصحراء، فالغرض منه كان إنشاء مملكة مستقلة السيادة، تمتد عبر القارة الأفريقية من الحدود المصرية شرقا إلى شواطئ الأطلسي غربا، تضم في جوانبها برقة وطرابلس وفزان ثم الصحراء الجزائرية والنيجرية ومنطقة بحيرة تشاد وحوض النيجر، تسيطر فيها على كل الواحات الصحراوية وطرق القوافل التجارية والطرق الساحلية من البحر الأحمر شرقا والبحر الأبيض المتوسط شمالا وإلى السودان جنوبا وشرقا، وخاصة بعد قيام الثورة المهدية في السودان¹⁴، وذلك وفق روايات الرحالة الأوروبيين والعرب، والذين أشادوا الزوايا السنوسية في الصحراء الكبرى. ونذكر هنا ما قاله الرحالة التونسي الحشائشي في كتابه (جلاء الكرب عن طرابلس) واصفا أخلاق أهالي الصحراء والأمن والاستقرار اللذين تحققا في الصحراء بفضل هذه الزوايا السنوسية، وإلى حد ما، عن طموحات العائلة الليبية السنوسية :

" إن أهل الجبل الأخضر طباعهم حسنة وأخلاقهم طيبة لينة، يعتقدون في شيخهم السنوسي اعتقادا لا تزحزحه الجبال ويخافون الله ورسوله، وهم أصحاب عبادة، وقد ضرب الأمن والخوف أطناجهم بأرضهم، فالغريب والسائح عندهم لا يهضم لهما جانب ولو كانت معهما حول الذهب والفضة، وأصبح تبادل التجارة في الأراضي الواقعة بين البحر المتوسط شمالا ومختلف أنحاء أفريقيا الاستوائية جنوبا مرتبطا برباط وثيق، واستمر سفر القوافل جيئة وذهابا، وذلت عقبات الصحراء التي أقل ما يخشاه الإنسان في جوفها، هو الموت المحتم عطشا، إذا افترضنا نجاته من الدعار واللصوص وقطاع الطرق، وحفرت الآبار في جوف الصحراء، وأصبح التاجر يحمل كل غال ونفيس على جماله، من بنغازي إلى وداي (تشاد) ومن طرابلس إلى بحيرة تشاد مارا بفران، ومن مصر إلى برقة أو السودان مطمئنا لا يخشى على شيء".¹⁵

وكانت للعائلة السنوسية اعتبارها خلال حكم الدولة العثمانية وقبل الاستعمار الإيطالي، وحكم هذه العائلة غير المباشر لليبيا بدأ منذ 1917 الميلادي. وبعد مؤسس السنوسية السيد بن علي السنوسي تلاه السيد المهدي السنوسي ومن ثم السيد أحمد السنوسي وأخيرا محمد إدريس السنوسي الذي تمت مبايعته كأمر لبرقة وطرابلس عام 1922 وهو العام الذي احتلت إيطاليا فيه الأراضي الليبية، وقاد المفاوضات مع الإيطاليين بعد الثورة والجهاد من أجل الاستقلال الذي شارك فيه أفارقة من جنوب الصحراء، أبرزهم التشادي قُجة عبد الله، وأصبح أول ملك ليبيا بعد الاستقلال أي منذ 24 ديسمبر 1951 حتى أطيح به عام 1969 إثر انقلاب عسكري.

الزوايا والطريقة الصوفية السنوسية في ليبيا¹⁶ كمؤسسة، تم القضاء عليها بعد الانقلاب العسكري الذي قام به القذافي في سنة 1969، وذلك لتخوف السلطة الجديدة من تحولها الى حركة سياسية مستقلة، بحكم بطولاتها الكبرى ضد الاحتلال بقيادة الشيخ عمر المختار عليه رحمة الله، وكانت لها آراء تقاوم السلطة الظالمة والحاكم المستبد، فلم يطق القذافي وجودها وقام بحلها.

إذن يمكن القول بأن الدين الإسلامي بطوائفه المختلفة، السنية الصوفية، كان ولا يزال عاملا جوهريا ومحورا رئيسيا في توطيد العلاقات الأفريقية العربية، وذلك إذا تم استغلاله بطريقة عقلانية بعيدا عن الطائفية والتطرف وبعيدا عن الحسابات السياسية الضيقة.

3. الطرق الصوفية والسياسة:

باستثناء أنظمة الحكم الملكية العربية، فإن أغلب أنظمة الحكم في الدول الأفريقية والعربية قائمة على أساس عسكري أو مدني علماني، أي فصل الدين عن الدولة، وذلك نظرا لوضعية المجتمعات الأفريقية

العربية المبنية على الدكتاتورية العسكرية وعلى تعدد الأديان الإلهية والوثنية من ناحية، ونتيجة الأسلوب الديمقراطي الحديث الذي يطبق على كثير من الأنظمة في العالم، من ناحية أخرى. ولكن مع تعدد الطوائف الدينية في كثير من الدول الإسلامية ومنها الأفريقية، وجدت الطرق الصوفية نفسها منخرطة في السياسية، فجل الطرق الصوفية لا تعارض أو تنتقد النظام الحاكم القائم في الدولة، ويبرر شيوخها ذلك بمنطق الطاعة لولي الأمر "اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (النساء، آية 59) وتأخذ بالرأي الفقهي القائل بعدم جواز الخروج على الحاكم حتى لو كان ظالماً.

تصف بعض الطوائف السلفية شيوخ الطرق الصوفية بأنهم غالباً ما يكونون أداة طائعة للنظام الحاكم، حسب وصف مجلة الشارع السياسي فإن "الطرق الصوفية تطيع النظام القائم، ليست عن قناعة شخصية، بل لركوب الموجة، لأنهم يستغلون النظام الحاكم أياً كانت توجهاته، وتحظى الصوفية حتى اليوم بدعم سخي من الدول الغربية والخليجية ويتبوؤون مناصب رفيعة وتفتح لهم مساحات واسعة في الإعلام الحكومي".¹⁷ ففي مصر مثلاً، جميع الأنظمة السياسية المدنية والعسكرية التي توالى على الحكم منذ الخديوي إسماعيل حتى اليوم، استخدمت الأجهزة الاستخباراتية المصرية شيوخ المجلس الأعلى للطرق الصوفية لمحاربة الإخوان المسلمين والسلفية الجهادية.

التيجانية كغيرها من الطرق الصوفية في الدول الأفريقية ولاسيما في غرب أفريقيا وبالتحديد في السنغال لها قوة روحية وسياسية، لقد انخرطت في أغلب دواوين الدولة ووصف بعض المحللين بأنها دولة داخل الدولة، ورجال السياسة غالباً ما يلجأون إلى شيوخ وعلماء الطريقة لطلب الدعاء والدعم الروحي والمساندة المعنوية في حملاتهم الانتخابية أو السعي للحصول على مناصب عليا في الدولة، وهو اعتقاد سائد وعادة متداول بكثرة في كافة الدول الأفريقية.

إذا كان مؤسس التيجانية، الشيخ أحمد التيجاني، جزائري الأصل، إلا أنه تطورت طريقته في المغرب وتوفى في فاس، وضريحه أصبح قبلة لأتباع الطريقة التيجانية على طول السنة، استغلت المملكة المغربية هذه الطريقة وضريح مؤسسها في دبلوماسيتها الروحية والسياحية في أفريقيا عن طريق تنظيم مهرجانات واحتفالات عالمية من طرف جمعية الصوفية في المغرب، بالإضافة إلى جعلها أداة حادة لمحاربة الجماعات السلفية.¹⁸

الإسلام الصوفي يتميز بالوسطية والاعتدال وله المرونة في الزمان والمكان ويميل نحو الحوار بين الأديان والتأقلم مع الأنظمة السياسية القائمة، وهو الامر الذي تحاربه الطوائف الإسلامية السلفية والتكفيرية والجهادية المتطرفة المتمثلة في الوهابية وفي الإسلام السياسي، التي تطالب بالرجوع إلى الأصل بكل الوسائل، تمنع أية صورة من صور التغيير والتجديد في الإسلام غير الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الوهابية ظهرت كحركة دينية في نجد خلال القرن الثامن عشر، وتنسب إلى محمد بن عبد الوهاب، وتأسست بواسطتها الدولة السعودية، وصراعها مع الإسلام الصوفي بدأ منذ العقود الأولى، ولكن في السنوات الأخيرة تحول هذا الصراع إلى صراع مسلح استخدمت فيه جميع أنواع العنف حيث قامت القاعدة والحركات المنتمية لها بمهاجمة المساجد والمراكز الصوفية في أنحاء العالم. وصلت الوهابية إلى أفريقيا التي عرفت منذ القرون إسلاما تقليديا سلميا بواسطة الطرق الصوفية، فهي جاءت بالإسلام السياسي والأيديولوجي المتطرف، وظهرت الجماعات الإرهابية التي ارتكبت مجازر مروعة ضد المدنيين العزل، وانفجرت مواجهات مسلحة عنيفة مع الجيش والسلطات الأمنية في كثير من الدول الأفريقية، مما سبب أزمات عدم الاستقرار السياسي والأمني.

يمكن الإشارة أن علماء الطرق الصوفية يتمتعون، منذ ظهور الجماعات الجهادية والسلفية، بمكانة ومنزلة محترمة لدى دوائر الحكم في الدول الإسلامية ولاسيما في دول الخليج، كما أن الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية تحارب الإرهاب عن طريق التقرب إلى الإسلام الصوفي عبر الأنظمة المعادية لهذه الجماعات.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، واحتلال أمريكا وحلفائها العراق 2003، وما تلاها من أحداث الربيع العربي، ابتداء من 2011، اتبعت الولايات المتحدة والدول الغربية سياسة فرق تسد بين المذاهب الإسلامية واستخدمت الطرق الصوفية لمحاربة الحركات الإسلامية الجهادية أو الإسلام السياسي، في الوصول إلى الهدف المطلوب (إضعاف الإسلام)، تستخدم القوى الغربية الدبلوماسية بالوكالة عبر بعض الدول العربية وبالأخص دول الخليج مثل السعودية والأمارات العربية، حيث هذه الأخيرة أوجدت مؤسسات جديدة باسم الصوفية مثل (مجلس حكماء المسلمين والمركز العالمي للتجديد والترشيد) بالرغم من وجود الاتحاد العالمي للطرق الصوفية، وذلك بهدف تحييد بعض العلماء الصوفيين.

في الواقع، هناك استراتيجية ومؤامرة كبرى تم تخطيطها من قبل الاستخبارات الغربية والأمريكية والإسرائيلية بمشاركة بعض الدول المسلمة التي تسعى إلى إدخال إصلاحات في الطرق الصوفية نفسها، من أجل خلق إسلام معتدل ومطيع يتوافق مع مصالح القوى الكبرى ومع الاخلاقيات والقيم والديمقراطية الغربية، وهو ما وصفه بعض الأكاديميين (بالإسلام البديل أو الإسلام الأمريكي).

خاتمة:

نخلص في الأخير إلى القول أن الطرق الصوفية هي في الواقع منهج مستمد من الإسلام السني المالكي، وقد تفرعت منه عدة فروع في أفريقيا والعالم العربي وبعض مناطق آسيا. لقد فرض هذا المنهج نظرتة للحياة الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمعات الأفريقية المسلمة، كما نجح - بدرجة كبيرة- في تزويد وإثراء الحضارة الأفريقية بالثقافة العربية، كما استطاع بكل قوة تعزيز الروابط والعلاقات الأزلية بين الأفارقة والعرب.

ويمكن الإشارة إلى أن هذا المنهج يواجه خلافات داخلية فيما بين فروعه نتيجة إتباع بعضها طقوسا وممارسات تتسم بالغلو والتشدد، كما أنه أمام تحديات من الطوائف السلفية والمتطرفة، تتمثل في الإسلام السياسي والعنف الديني.

يميل نهج الطرق الصوفية على العموم والأفريقية على الخصوص، نحو الوسطية والاعتدال، وغالبا ما يتأقلم النهج الصوفي مع أنظمة الحكم القائمة، الأمر الذي قد يدفع أحيانا إلى استخدامه لأغراض سياسية.

.. كما يمكننا أن نطرح التساؤل التالي: هل العرب والأفارقة اليوم، كدول أو كمنظمات على مستوى من الوعي والإدراك لإعادة استثمار هذه الوشائج والقواسم المشتركة التي تجمعهم من أجل مواجهة التحديات والأخطار المحدقة التي تحيط بالإسلام وأهله؟ وللإجابة على هذا التساؤل نوصي بالآتي:

- 1- يجب على الاتحاد العالمي للطرق الصوفية وضع ضوابط ومنهجية واضحة تتقيد بها جميع الطرق الصوفية، والحد من الانتشار الفوضوي الذي تشهده اليوم في الساحة.
- 2- الدول العربية مطالبة بتقديم الدعم المادي والمالي المنتظم لهذه الطرق الصوفية، والتي تقوم بكل قوة، بدور النشر والدفاع عن الإسلام واللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء.

3- يعاني غالبية الإسلام الصوفي في أفريقيا من ضعف البنية التحتية ومن هشاشة مؤسساته، وبالأخص الخلاوي والزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، لذا فإن الدول العربية والخليجية مطالبة اليوم بإطلاق مبادرات لبناء مراكز ومعاهد داخلية حديثة لتدريس والاهتمام بالتعاليم الإسلامية وفتح مكتبات عربية ضخمة.

4- الإعلام العربي غائب تماماً أمام ما تقوم به الطرق الصوفية من عمل وجهد ينصبان في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية في أفريقيا، لذلك نوصي بإنشاء الإذاعات والقنوات التلفزيونية الخاصة وامدادها بالعنصر البشري الكفؤ، والبرامج التي تنسجم مع المجتمعات الأفريقية.

5- إن الإسلام السياسي والتطرف الديني العنيف والفكر الأيديولوجي المتشدد خطر على مستقبل الطرق الصوفية وعلى الاستقرار السياسي والأمني في الدول الأفريقية، لذا نوصي بتوحيد الجهود العربية والأفريقية لتحديد الجماعات الإرهابية، ودرء القوى الأجنبية من التدخل في شؤونها الداخلية.

التهميش:

¹ - بدون ذكر الكاتب، الصوفية: النشأة والتكوين والتوظيف السياسي مجلة الشارع السياسي، أغسطس 2021، الرابط: <https://politicalstreet.org/4283>

² - موسى عبد السلام أبيكن، التصوف الإسلامي في غرب أفريقيا، مجلة حوليات التراث، العدد 13، سبتمبر 2013، ص 22

³ - حنان الطيبي، مراحل تطور الصوفية وأبرز أئمتها وتحولها من الزهد إلى الشرك!، مقالة في الحدث الأفريقي، فبراير 2025، الرابط: <https://www.alhadathlifriqui.com>

⁴ -Laurent de Saint Perier, Islam: les 7 clés du soufisme, **Jeune Afrique**, Mai 2016

⁵ عجمي، محمد، الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في أفريقيا، المبادي نت، يوليو 2023، الرابط: www.almayadeen.netc

⁶ -Samba Ndiassé, **Soufisme au Sénégal : un rempart contre l'extrémisme, un acteur socio-économique**, Avril 2014

⁷ - المرجع السابق ص 9

⁸ - Nafissatou Tall, Soufisme en Afrique au sud du Sahara: enseignements de la voie Tijâniyya dans le "Rimâh" d'al-Ĥâjj Umar Tall et le "Kâshif al-ilbâs" de cheick Ibrâhîm Nyaş, **Thèse de doctorat**, Paris/ EPHE, 2010

⁹ - حنان الطيبي، مرجع سابق

¹⁰ - عبد الرحمن شيتو علاوي، الطرق الصوفية في غرب أفريقيا، مجلة قراءات دينية، العدد 48، 2021، ص 8-9

- ¹¹ - حوتية محمد، الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب إفريقيا، خلال القرنين 18/19، ورقة الملتقى الدولي الحادي عشر - بعنوان: «التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة»، نوفمبر 2008، جامعة أحمد دراية، أدرار - الجزائر
- ¹² - محمد الطيب بن إدريس الأشهب، المهدي السنوسي، طرابلس، 1951، ص 30-31¹²
- ¹³ - أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية، نشأتها وغموها في القرن التاسع عشر، القاهرة، 1967، 114-163
- ¹⁴ - أحمد حسنين، في صحراء ليبيا، ج 1، (بدون تاريخ) ص 53-56¹⁴
- ¹⁵ - جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 319
- ¹⁶ - الكاتب غير مذكور، مرجع سابق
- ¹⁷ - الشارع السياسي، مرجع سابق
- ¹⁸ -Ghalia Kadiri, Pourquoi les djihadistes s'attaquent aux musulmans soufis, le Monde [:https://www.lemonde.fr/afrique/article](https://www.lemonde.fr/afrique/article)